

في « العجوز والبحر » لمحات روحية وإنسانية ونضالية . وينسج هيمنجواي خيوط التعاطف الإنساني والمودة والعطف في نسج العلاقة بين الصبي الصغير والصيد العجوز الفقيرين ويشدهما برباط الرحمة والتعاطف والكفاح في مهنة الصيد وتجاوب آفاق البحار والاعتراف من ذكريات الحياة والنضال في عالم البحر المتجددة دومًا . إذ يعود الصبي مصممًا على مصاحبة الصيد العجوز « ستياجو » ، مؤكدًا امتنانه لمعلمه الأول في مهنة صيد الأسماك . ويحاول ستياجو منعه من الانضمام إليه فيذكره الغلام برحلاتها المشتركة التي وجدا فيها العناء والصيد الوفير . ويتقن الصبي مسلك والده الذي لا يثق في قوة الصيد وصلابته . وهكذا ينضم الصبي إلى الصيد العجوز كرمز لاجتماع الماضي والمستقبل على الثقة بقدرات الإنسان . وتنساب الصور المعيرة عن معارك البحر الذي شهدها الصبي منذ طفولته مع العجوز ، وعن أخبار الصيادين ونوعيات الأسماك التي نجحوا في اصطيادها وتجمعاتهم في « بيت السمك » على الشاطئ الكوبي انتظارًا لسيارة الشحن الثلجة التي تحمل الأسماك إلى « هافانا » .

يجمع هيمنجواي في روايته بين أحداث الزمنين الماضي والحاضر والأمكنة المختلفة من البحر إلى الشواطئ ، وبين الخبرة بعالم البحر والصيد ودقائق مهنة صيد الأسماك ومعداتنا وتقاليدها والعلاقات بين الصيادين ، هذا العالم الثرى الذي ينقله هيمنجواي بكثافة وثرًا ، في حوار الرواية الدرامي المحمل بالمعلومات الذي يعد أبرز أدوات الرواية الفنية ، إذ تمتلئ صفحات الرواية بالحوار المتبادل بين الصبي والعجوز وبين الصياد وأسمائه وبين الصياد ونفسه في مناجاته لروحه . ونطالع في هذا الحوار تصميم « ستياجو » على اصطياد سمكة ضخمة تعوضه عما فاته من صيد في رحلاته الفاشلة السابقة ويؤكد بها قوته وقدرته على تجاوز الهزائم وتحديها . ويوجه الغلام إلى العجوز سؤالًا ذكيًا قائلاً : « أترى أن لك جلدًا على صيد الأسماك الكبيرة حتى الآن » . فيجيبه العجوز : « أظن هذا . وإني لأستعين عليها بما عندي من حيل كثيرة » . وهو سؤال كاشف لإمكانيات الإنسان العقلية ومهاراته المكتسبة التي تعينه في معاركه مع قوى الطبيعة البحرية بالرغم من تقدمه في السن .

وفي تنقله بين الأمكنة ، يصور هيمنجواي كوخ الصيد العجوز الفقير ، ليفصح عن وحدته القاسية بعد وفاة زوجته بدون أبناء وعن فقره وجوعه ، حتى لقد باع كل شيء ليأكل بئس منه . وهي أمور درب العجوز نفسه على تحملها وتجاوزها بل تجاهلها أيضًا . ويأتي هذا